



الهندسة الإيقاعية للأمثال الشعبية - منطقة الجلفة أنموذجاً -
**Rhythmic geometry for popular proverbs – Djelfa as a
 model-**

أ. فريدة ضيف الله[‡]

أ.د. لخضر لوصيف[§]

تاريخ القبول: 2021.01.27

تاريخ الاستلام: 2020.11.21

ملخص: الأمثال الشعبية هي تجربة الماضي وصوت الحاضر وصدى المستقبل ولسان الجمهور الناطق بها، فهي تدل على حكمة الشعوب وذكاء الفرد والمجتمع الجلفاوي يتميز بكثرة استعماله للأمثال وتأثره بها، وتزيد كلام قائلها تأكيدا وفصاحة وتأثيرا، وهذا يعكس أصالة المنطقة وعراقتها وثرأ تراثها الأدبي. والزخرف البديعي كان لمسة خاصة في الأمثال الشعبية، حيث أضفى عليها إيقاعا ورونقا خاصا، فجاءت الأمثال بأبهى حلة، بالإضافة إلى دورها في التبليغ والتأثير بأيسر الألفاظ وأسهلها. ولهذا هدفنا إلى دراسة هذه الأمثال دراسة بلاغية دلالية، اقتصرنا فيها على جانب البديع، لما فيها من إيجاز ونغمة ولأنها مرآة عاكسة للأدب الشعبي والموروث الثقافي.

كلمات مفتاحية: إيقاع؛ مثل؛ شعبي؛ الجلفة؛ بديع.

Abstract: Popular proverbs are the experience of the past, the voice of the present, the resonance of the future, as they indicate the wisdom of peoples and the intelligence of the

[‡] جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، البريد الإلكتروني: dzisam2@gmail.com

(المؤلف المرسل).

individual, and the Galfawi society is distinguished by its frequent use of proverbs, And the Philanthropists was a special touch in folk proverbs.

That is why we aim to study these proverbs a rhetorical and semantic study, because of their brevity and tone, and because they are a reflection of popular literature and cultural heritage.

Keywords: rhythm; proverb; popular; djelfa; Philanthropists.

1. المقدمة: يعتبر المثل حكمة الشعوب وأصالة تاريخها، ومرآة عاكسة لعاداتها وتقاليدها، التي تفتخر بها أي منطقة من ربوع الجزائر، وبالتحديد منطقة الجلفة، التي تزخر بزخم هائل من الأمثال الشعبية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة المنطقة وعراقتها، وتشبث أهلها بقيمهم وتقاليدهم. لقد استطاع المثل أن يثبت كيانه فهو عريق عراقة الإنسان البدائي، الذي تأمل وفكر ثم عبر عن واقعه بعفوية وبكل شفافية ومصداقية، واتخذ من المثل مادة خام نسج به إبداعه ليخرجه في قالب جمالي هذا المثل حظي باهتمام كبير من قبل الجماعة الشعبية، وذلك بما يتسم به من بساطة في الكلام وخفة على اللسان وسهولة في الحفظ، فأستشهد به في أطراف الحديث، فهو دستور الجماعة وقانونها العادل، وما زاد الأمثال الشعبية رونقا وجمالا، ذلك الجرس الموسيقي أو ما يسمى الزخرف البديعي الذي يتخلل ثايا المثل الشعبي وتطرب الأذن لسماعه.

نحب الأمثال لأنها تطفح بالحكمة التي فيها منجاة للإنسان من غوائل الدهر، إذ كلما وقفنا على الأمثال، وقفنا على حقيقة أنفسنا واستكشفتنا خباياها ونواياها، والمحسنات البديعية التي تزين الأمثال الشعبية هي من الوسائل التي يستعين بها الشاعر أو الخطيب أو الأديب بصفة عامة، لإظهار أفكاره وأهدافه وللتأثير في النفوس، وهذه الزينة اللفظية تكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدية للمعنى، أما إذا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها وأصبحت دليل ضعف الأسلوب وعلامة عجز الأفكار.



تعدّ الموسيقى أهم جوانب بناء المثل، ومن أبرز أدواته وأكثرها جوهرية في التشكيل الحالي للمثل الشعبي، والجرس الموسيقي في الأمثال الشعبية ليس زينة أو حلية صورية خارجية فقط، بل هي وسيلة من أقوى وسائله، في التعبير عما يريد الإفصاح عنه، ففي السجع ينتظم المثل انتظاما إيقاعيا، وبصورة جمالية مؤثرة في السامع أو المتلقي ليسهل عليه حفظ الأمثال وتداولها، "ذلك أن المبدع بما يوفره في عمله من إيقاع، يتوصل إلى كسب مودة المتلقي، ويحمله على متابعته حتى نهاية العمل، بما يساعد عليه الإيقاع من تحطيم التواصل بين شعور المبدع وشعور المتلقي، فيتيح له الدخول معه في عالم شعوري وافر"¹ (هني، 1999، ص 22)، والوصول إلى نفس المتلقي والتأثير فيه، هو الغاية التي تحقق وظائف المثل بمختلف أبعادها، وهذا ما عبر عنه ابن جني في كتابه الخصائص، بأنّ العرب خصوا المعنى القوي باللفظ القوي، وأنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها² (جني، 1957 ص 157).

فالإيقاع وظيفة دلالية إبلاغية، ولهذا كانت العناية بالشكل الإيقاعي قديما وحديثا فالانسجام بين اللفظة ودلالاتها في السياق، يجب أن يكون انسجاما دلاليا وإيقاعيا يقول عبد الملك مرتاض في كتابه الأمثال الزراعية -وهو بصدد دراسة الإيقاع والصوت: "وإذا رسمنا السبيل في دراسة نص هذا المثل الشعبي، من حيث بنياته الإفرادية والتركيبية، واهتدينا فيه إلى الظاهرة الطاغية، وتوصلنا إلى معرفة الذوق الشعبي، في الحرص على الجمل القصار أكثر من الطوال، فإن هذه الرؤية تظل ناقصة أو جزئية ما لم تضاف إليها دراسة أخرى تنصب على جانب الإيقاع، وقد حاولنا جهدنا ونحن ندرس البنية، أن لا نقع في فخ الحديث عن الإيقاع الصادر عن هذه البنية نفسها، وأنه من العسير والأمر العويص فصل البنية عن إيقاعها، فنحن هناك حاولنا وصف الأداة من حيث هيكلها السطحي، دون التوضيح لخصائص صورتها مفردة وإيقاعها مركبة³ (مرتاض 1982، ص 162).

فلا يمكن الفصل أساسا بين اللفظ من حيث الدلالة والإيقاع، لهذا كان شرطا أن نستعمل المحسنات لتحسين الكلام وإصابة المراد بدون تكلف أو مبالغة، لأنّ "الذوق الشعبي في الألبان كما هو في الأمثال حريص على الأصوات المنسجمة في الكلام

ولذلك اهتم باختيار الألفاظ وتقطيع الجمل، بغية تحسين الصياغة وتنويع التراكيب لإحداث معادلة صوتية تتبع منها موسيقى، تضيف على الترسل الشعبي نوعاً من الجمال الأدبي، الذي يشيع جواً خاصاً يسهل الطريق إلى الحفظ والتناقل، بفضل الانسجام والتناسق بين أجزاء هذا الشكل الأدبي الشعبي، المتألف من وحدات متلاحمة متناغمة، تضمن حياته وتمنحه قوة فنية وجمالية، تترك أثرها في الأذن والنفس⁴ (العوي، دت، ص 101).

إذن فإسؤال الذي يطرح نفسه: ما الدور الذي يلعبه التحسين اللفظي في الأمثال الشعبية؟ وهل للعامية القدرة البلاغية التي تضاهي الفصحى جمالياً؟

2. المحسنات البديعية في الأمثال الشعبية:

1.2. السجع: السجع هو "موالات الكلام على وزن واحد"⁵ (السيوطي 1988 ص87)، وهو توافق الفواصل في الحرف الأخير، ولهذا كان مرتبطاً بالتأثر أكثر منه ارتباطاً بالشعر، وإن كان الشعر فيسمى ترصيعاً، وتكاد الأمثال الشعبية لا تستغني عنه، "ألا ترى أن المثل إذ كان مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به ولا انتقت لمستعمه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله"⁶ (جني، 1957، ص216). وكلما كانت الجملة التي ورد فيها السجع قصيرة كلما كان السجع أحسن، خاصة وأن الذوق الأدبي الشعبي كان يميل إلى الجمل القصار أكثر مما كان يميل إلى الطوال وتعليل ذلك أن النص "كلما قصرت وحداته واقتضبت دواله وتقابلت في انسجام أو اتفاق وفي انتلاف أو اتزان، سهل نقله وانتشرت روايته وتبادر إلى الأذهان فاستقر فيها، وترامى على الذواكر فتبوأ منها مقاما لا يرميه"⁷ (مرتاض، 1982، ص140)، ويظهر ذلك جلياً في الأمثال، إذا تكررت بعض الألفاظ وفق ما يمليه السياق، تكرر تأكيد لشكل أو تكرار للشكل والمعنى. والسجع في الأمثال يندر ألا يصاحبه محسن لفظي آخر، كالمقابلة والطباق التي يلجأ إليها العامة لتوضيح المعنى وتقريبه من المتلقي، فمثلاً:



- "لسانك حصانك، إذا صنتو صانك، وإذا خنتو خانك"، فالملاحظ على هذه الألفاظ "حصانك، صانك، خانك" أنها كلها ترانيم على هذا الجرس الموسيقي حققت السجع أما المقابلة فظهرت بين الجملتين الأخيرتين، ويكاد المثل يفرد بهذه الخاصية. أما من حيث المعنى فهذا المثل يتكلم عن قيمة اللسان وكيفية التحكم فيه، فهو كالحصان، إن لم تقم بترويضه سيخونك حتماً؛

-ويقول مثل آخر: "الشّتا هم وغم، والرّبيع ما تشكر ما تدم، والصّيف اجري ولم والخريف لو كان يتم" ففي المثل سجع بين "غم، تدم، لم، يتم"، وطباق بين "ما تشكر ما تدم"، ونلاحظ هذا التقسيم المنسجم والمتسق بين المقاطع الأربعة حيث تظهر المقارنة بين فصول السنة في قالب بديعي بليغ، فوصفوا الشّتا بالهم والغم لما يمتاز به هذا الفصل من برد قارس ورياح وأمطار، فالإنسان يعاني صعوبة في مواجهته، أما فصل الرّبيع فمكانته متوسطة بين الفصول لأنّ فيه أياما باردة كالشّتا وأياما أخرى معتدلة أما الصّيف فيمر بسرعة ولا تشعر به وبقي الخريف الذي صنّفه بأحسن الفصول وتمنوا بقاءه؛

وقد يكون السّجع لوحده في الأمثال الشعبيّة مثل:

- "يا باني دارك في غير بلادك، ما هي ليك، ما هي لولادك"، هذه الجمل القصيرة المسجوعة جاءت ضمن تسلسل للمعاني محكم البناء ليس فيه ما يدعو للضجر من المصطلحات الموظفة، فالكلمات "بلادك، ليك، ولادك" بينها سجع وهي تتوافق مع المنطقات التي جاء المثل لتحقيقها. ويتكلم هذا المثل عن الذين يهاجرون إلى بلدان بعيدة، ويقضون حياتهم هناك، ويبنون أو يشترون بيوتا هناك وفي الأخير يعودون إلى أوطانهم، وبالتالي فتلك البيوت التي تركوها لن يستفيدوا منها لا هم ولا أولادهم؛

- "عاملني كي خوك، وحاسبني كي عدوك"، فمثل هذه الجمل التي حملت جانبا سجعيا في نهايتها "خوك عدوك"، ودعت إلى التّبصر بما هو واقع بين الناس، بحيث يجب وضع حد فاصل بين الصّدّاقة والعمل فلكل مقام مقال؛

- "دراهم المشحاح، ياكلهم المرتاح"، ففي هذا المثل نغمة سجعية رائعة، هذا من ناحية الشّكل، ولو تعمقنا أكثر في المضمون نجد أنه يحث على خلق عظيم هو الكرم

وينهى عن خلق بغيض هو البخل بطريقة غير مباشرة، وهذا المثل يذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم: "أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً"؛

- "اللي راح كبيرو، الهم تدبيرو" نلاحظ في هذا المثل النغمة الإيقاعية المسجوعة بين لفظتي "كبيرو تدبيرو"، هذا من ناحية الشكل، أما من ناحية المعنى فنجد المثل يحث على قيمة أخلاقية، وهي وجوب معرفة مكانة الأم والأب قبل رحيلهما، وإذا غابا عن المنزل فستغيب معهما أشياء كثيرة، فكبار السن يمتازون برجاحة العقل والحكمة والرأي السديد؛

- "ضربني وبكى، وسبفتي وشكى"، فهذا المثل حمل جانبا سجعيا بين لفظتي "بكى، شكى"، وفي محتوى المثل يتكلم عن الإنسان المنافق الذي يبدأ بالظلم ومن ثم يبادر بالشكوى ويسبق المظلوم إليها؛

- "اللي خطاه البكري، يروح يكري"، في هذا المثل نجد إيقاعا سجعيا بين لفظتي "بكري، يكري"، وفي عمق المثل نجده يتكلم عن قيمة الفرصة الأولى وبأنها لا تعوض وإذا ذهبت لم تعد، وعلى الفرد استغلالها؛

- "وواحد من قصر لقصر، ولاخر من قبر لقبر"، ففي هذا المثل توافقت الفواصل في الحرف الأخير بين كلمتي "قصر، قبر"، وهو يتكلم عن تناقضات الحياة، فنجد شخصا من نجاح إلى نجاح أكثر، يعيش في سعادة دائمة، وآخر من خسارة ومن مصيبة إلى أخرى، يعيش في تعاسة؛

- "ياكل الغلة ويسب الملة"، في هذا المثل سجع بين لفظتي "الغلة، الملة"، وفي معناه يدل على شخص ناكِر المعروف، الذي يأكل الخيرات ويسب الشخص الذي أعطاه؛

- "الطول للشجر، والعرض للبقر، والعقل للبشر"، هذه الجملة القصيرة المسجوعة جاءت متسلسلة محافظة على المعنى، وهذه الزينة اللفظية لم تفقد المثل معناه ولم تنقص منه شيئا، بل بالعكس زادت من وقعته في النفوس، فنجد السجع بين "الشجر، البقر، البشر"، وهو يحث على أن أحسن شيء كرم الله به الإنسان هو العقل، وهو أهم من كل شيء.



وهناك أمثال كثيرة لا يسعني المجال لذكرها كاملة وشرحها، وهذا يدل على غنى وعراقة المنطقة بهذا الكنز الثقافي الوفير، من بينها:

- "بيت الرجال، خير من بيت المال"، فيها سجع بين لفظتي: الرجال والمال. ويتكلم عن مكانة الرجل في الأسرة وفي الحياة الاجتماعية؛

- "الحاجة اللي تهملك، وصي عليها راجل أمك"، فيها سجع بين لفظتي: تهملك وأمك. والمعنى الظاهر هنا غير المقصود المخفي، فكأنه يشير إلى أن مكانة الأب لن يعوضها زوج الأم، فلا داعي لتوصيته؛

- "سال مجرب، لا تسال طبيب"، فيها سجع بين لفظتي: مجرب وطبيب. وهنا إشارة إلى قيمة التجربة في الحياة، فعند الاستشارة عليك بإنسان خبير وليس في بداية حياته وإن بلغ من العلم الدرجات العليا؛

- "كي شاب، علقولو كتاب"، فيها سجع بين لفظتي: شاب وكتاب. ويقال في الشخص الذي يضيع فرص عمل أو دراسة في صغره ويتدارك ذلك الأمر في كبره فقط؛

- "خوك من واثاك، ما هوش من والاك"، فيها سجع بين لفظتي: واثاك ووالاك. ويشير هذا المثل إلى أن الأخ الحقيقي هو الذي يقف إلى جانبك في أصعب المواقف، وليس الأخ من أمك وأبيك، فلفظة "والاك" تعني ابن وليك. ولكننا نجد مثلاً شعبياً آخر يناقض المثل السابق، ويشيد بمكانة الأخ الحقيقي ويدعو التزامه يقول: "خوك خوك لا يغرك صاحبك"، فمهما بلغت درجة الصاحب فيبقى الأخ أعلى منزلة منه.

وتفسير هذا الأمر أنّ الأمثال الشعبية مرآة عاكسة للمجتمع بكل تناقضاته فهذا التناقض في الأمثال إنما يعبر عن حالات التناقض في العلاقات الاجتماعية المعقدة، ففي بعض الحالات نجد القرابة سبباً من أسباب النزاع والصراع بين الإخوة، فكم من إخوة أشقاء تنازعوا على متر من التراب، أو تقاتلوا من أجل حمار أو جمل، وتركوا لأبنائهم عداوة أبدية قد تمتد إلى أجيال وسنوات طوال⁸. (بن الشيخ، 1990 ص 158). إذن فخاصية التناقض في الأمثال الشعبية أمر طبيعي، لأنها تعبر عن المجتمع بما يحمله من عادات وتقاليد وقيم مختلفة على حسب المكان والزمان وقد تكلم عن هذا

عبد الحميد بورايو في قوله: "كما أنّ بروز التناقض في دلالة بعض الأمثال، إذا ما تمت الموازنة فيما بينها، يكشف عن التناقضات الاجتماعية التي يمكن أن توجد في نطاق ما، إذ يصبح من غير المعقول اتفاق جميع الأمثال في دلالتها في مجتمع يعرف صراعا حول القيم والتوجهات المستقبلية للجماعة واختلافا في المواقف وفي المصالح وفي القضايا المطروحة"⁹. (بورايو، 2008 ص 120).

وعلى العموم فإن الأسجاع الواردة في الأمثال لم تكن منتقاة لذاتها بل جاءت وفق ثقافة الإنسان الشعبي الذي ألفها، وتعامل بها الناس في جل مناحي الحياة فجاءت بتلك الأسجاع مكملة لمسيرة النص، الذي يهدف إلى التبليغ والتأثير بأيسر الألفاظ وأسهلها.

2.2. الجناس: هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى¹⁰ (أمين 1969، ص 229) وقد كان للجناس مكانة في الأمثال الشعبية، وذلك حين يستدعيه السياق، والأكد أنه ورد تلقائيا عفويا وأضفى على المثل رونقا وحسنا وجمالا، وكساه حلية بهيئة، فالشعبي يعتمد على سليقته وخبرته في إقناع الآخر، بأجود الكلام وأحسن اللفظ. ولعل أجود الجناس ما كانت حروفه متقاربة ووزنه وتراكيبه متساوية، وفي هذا قيل: "الجناس أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، وخير أنواعه ما تساوت حروف ألفاظه، وفي تراكيبها ووزنها"¹¹ (الحميد 1984، ص 63).

وله موقع متميز يضاها في المكانة والتوظيف السجع، "وتكمن فائدته في إمالته للأذهان لأنّ تناسب الألفاظ، يحدث في النفس ميلا إليها، فاللفظ إذا جاء بمعنى آخر في السياق نفسه، كان من الطّف مجاري الكلام ومن محاسن مداخلة"¹² (كامش 2004/2003، ص 232).

وفي الأمثال الشعبية كثيرا ما نجد الجناس يرتبط بالسجع، فيحدثان جرسا موسيقيا وعذوبة، ويشترط عبد القاهر الجرجاني، أن يكون المعنى هو من استدعاهما، ويكونان بذلك أحلى تجنيس وسجع، لأنّ المتكلم لم يقصد إليهما قصدا بل السياق هو الذي استدعاهما. يقول: "إنّك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا ينبغي به بديلا ولا عنه حولا، ومن هنا



كان أعلى تجنيس وأعلاه وأحقه بالحسن، وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم وتأهب لطلبه¹³ (الجرجاني، 2001، ص 7).

ومن الأمثال الشعبية التي يظهر فيها الجناس قولهم:

- "ادهن السير ايسير"، فالملاحظ أنّ الكلمتين المتجانستين: "السير، ايسير" جناس ناقص، وقد زاد هذا الجناس المعنى قوة صوتية، وجمالا وخفة في النطق خاصة وأنها صورة تتنازع فيها رغبتان مختلفتان رغبة في حب المال، ورغبة في تحقيق هدف ما وهو الدعوة إلى معرفة كيفية التخلص من المطبات والمزالق، وخاصة مع المرتشدين والانتهازيين؛

- "طول البال يهد الجبال"، جناس ناقص، ويعني هذا المثل المثابرة والصبر والحزم والعزم، دون كلل أو ملل؛

- "السّاكت همو نابت"، يوجد فيها جناس ناقص بين لفظتي "السّاكت، نابت" ويعني هذا المثل أنّ الإنسان الذي لا يتكلم ولا يفصح عمّا في قلبه، تجد همومه كثيرة ومتركمة لعدم البوح بها والتخلّص منها؛

- "الصّاحب ساحب"، جناس ناقص، وهو يذكرنا بالمثل القائل: "أرني صديقك أقول لك من أنت"، وهنا دعوة لاختيار الصديق ذي الأخلاق الحسنة، لأنّ الصديق يؤثر في صديقه ويسحبه إليه؛

- "وجه الخروف معروف"، أيضا جناس ناقص بين "الخروف، معروف"، وهذا المثل يعني أنّ الشخص الجيد يظهر من وجهه، فالوجه مرآة عاكسة للقلب، سواء كان الشخص جيدا أم سيئا يظهر ذلك في ملامح وجهه؛

- "من الحبة بيني قبة"، فيها جناس ناقص بين "حبة، قبة"، وهنا إشارة إلى الشخص الذي يضخم الأمور من شيء بسيط وتافه، يجعل منه موضوعا كبيرا ويغالي فيه؛

- "أخدم يا الشّاقى للباقي"، جناس ناقص بين "الشّاقى، الباقي"، وهذا المثل يقصد به الشخص الذي يعمل ويشقى ويحرم نفسه ويكون بخيلا، ثم يرحل ويترك المال لغيره يستمتع به؛

- "داري تستر عاري"، جناس ناقص بين لفظتي "داري، عاري"، ويعني هذا المثل أن الشخص مهما يتجول ويذهب للأصدقاء والأقارب وغيرهم، ولكن في الأخير منزله هو الوحيد الذي يأويه؛

- "الشيب والعيب"، جناس ناقص، ويقصد به الإنسان المسن الذي طغاه الشيب وما زال يقوم بأفعال مشينة ولم يحترم سنه وشيبه؛

وغيرها من الأمثال الشعبية الكثيرة والمتنوعة، التي زادها الجناس بلاغ، واستطاع أن يحدث وقعا في نفس المتلقي، وأن يكون له تأثير خاص لما فيه من جرس موسيقي جذاب.

3.2. الطباق: ويسمى التّضاد أو المطابقة أو التّكافؤ...كلها مصطلحات تطلق

عليه، و"هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة، وهو نوعان طباق إيجاب وطباق سلب"¹⁴ (ديب، 2003 صفحة 65). وهو واحد من المحسنات اللفظية وهو الإتيان بالمفردة وضدها، ويعرف كذلك بأنه الجمع بين متضادين اسمين أو فعلين والطباق يعمل على تحلية الأسلوب وجلاء المعنى في صورة أوضح وكما يقال: بالأضداد تنتضح المعاني، كما يقوي ويحسن التعبير ويكشف عما لا يمكن إظهاره بدونه بالإضافة إلى قيمته المعنوية النفسية. والطباق كـ بعض المحسنات البديعية لم تستغن عنه الأمثال الشعبية، مما يزيد وضوحا في المعنى فتتهز له النفس إعجابا وفهما، فهو دليل من الدلائل اللفظية والعقلية للمعنى المراد. ومن أمثلة الطباق في المثل الشعبي:

- "هم يضحك وهم يبكي"، طباق إيجاب بين لفظتي "يضحك ويبكي"، وهذا المثل يبين التناقض الكامن في الحياة، بين ما يضحك فيك وما يبكي، وهنا دلالة عميقة لا تقف عند ظاهر ما يدل عليه المثل بل أعمق بكثير؛

- "الخير مرا والشّرّ مرا"، طباق إيجاب بين "الخير والشّرّ"، ويتكلم عن مكانة المرأة في المجتمع، فإن كانت صالحة تكون مصدر خير وإن كانت طالحة تكون مصدر شر؛

- "أخرج لربي عريان يكسيك"، طباق بين "عريان ويكسيك"، ويتحدث المثل عن وجوب الصدق والصراحة وتجنب الكذب والنفاق؛



- "اخدم يا صغري لكبري، واخدم يا كبري لقبري"، طباق إيجاب بين لفظتي "صغري وكبري"، وهذا المثل يحث على العمل في مرحلة الشباب لكي لا يشقى الإنسان في كهولته، وعندما يكبر عليه استغلال وقته في العمل للآخرة؛

- "سال مجرب لا تسال طبيب"، طباق سلب بين "سال، لا تسال"، ويحث هذا المثل على أن الشخص الذي لديه تجارب في الحياة ومر بمصائب، تصبح لديه خبرة كبيرة في الحياة وتستفيد من نصائحه وتجاربه، فالخبرة هي المشط الذي تعطيك إياه الحياة عندما تكون قد فقدت شعرك؛

- "الرجال يتلاقوا والجمال ما يتلاقوا"، طباق سلب بين "يتلاقوا، ما يتلاقوا" وهذا المثل يعني أن الأشخاص مهما افرقوا ومهما بعدت المسافة بينهم، فقد يأتي يوم ويكون التلاقي لا محالة.

حقا تعرف المعاني بالأضداد، فالنضاد في الأمثال الشعبية، كان له دور كبير في تقوية التعبير وجلاء المعنى وإبعاد الغموض عنه.

4.2. المقابلة: هي إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. ولا يكون الطباق إلا بين ضدين فقط، والمقابلة تكون بين أكثر من اثنين¹⁵ (ديب، 2003، ص72).

ومن بين الأمثلة التي تظهر فيها المقابلة في الأمثلة الشعبية:

- "اللي يجيبها النهار، يديها الليل"، وفيه مقابلة بين "النهار، الليل" و"يجيبها، يديها" وهو يتكلم عن الشخص المبذر الذي يجني التقود نهارا وينفقها ليلا؛

- "اعقب على واد هدار، وما تعقبش على واد ساكت"، وفيه مقابلة بين "اعقب، ما تعقبش" و"هدار ساكت"، ويعني هذا المثل أن الإنسان الذي يفضض عما في نفسه وتظهر حقيقته، أفضل من الإنسان الذي يكون غامضا ولا تظهر نواياه وما يخبئه في قلبه؛

- "ما تكون بنين بيلعوك، ما تكون مر يلوحوك"، مقابلة بين "بنين، مر" و"يلعوك يلوحوك"، وهو يذكرنا بالمثل الفصيح: " لا تكن ليئا فتعصر ولا يابسا فتكسر"، فدائما

خير الأمور أوسطها. وهو ما يدل على أنّ هناك تشابه بين الأمثال الشعبية والأمثال الفصيحة؛

- "خذ رأي اللي بيكيك، وما تخذش رأي اللي يضحكك"، ونجد المقابلة بين "خذ ما تخذش" و"بيكيك يضحكك"، وهذا يعني أن نقبل نصيحة النَّاصِح حتى ولو كانت مؤلمة وأن نتجنب الدّي لا يرشدنا والدّي لا يعرفنا إلاّ في أوقات المصلحة والهزل، وهذا يعدّ إبداعاً، فالفرد الشعبي استطاع بفصاحته وبلاغته وحكمته أن يجمع بين المتضادات في مثل واحد، وهو ما زاد المثل وقعا وتأثيراً في نفس المتلقي.

4. خاتمة: يعتبر المثل الشعبي وعاء تعرف منه جميع الآداب وتشرب أصالة تاريخه، فهو الثقافة والحضارة التي تفتخر بها الأمة، فلم ينشأ هذا المثل من عدم أو من فراغ، وإنما نتيجة تأمل للحياة، ومن ثم اتسم بالصدق والواقعية، ولولا ذلك ما تلقاه الناس بالقبول والاستحسان واستشهدوا به في كلامهم، فالأمثال تصيب المعاني دائماً وتقف في الصميم، لتشفي العليل بكلام أصيل دقيق، ورغم عاميتها وبساطتها، إلاّ أنّها حجزت لنفسها مكاناً في علم البلاغة.

إنّ الأمثال الشعبية جنس أدبي حي، فهو متداول بين أغلب طبقات المجتمع، لتمييزه بخصائص فنية في شكله ومضمونه، فالمثل لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلاّ وتناوله فنجده يعالج الجانب الاجتماعي والنفسي والديني وحتى الاقتصادي، ذلك أنّ الأمثال الشعبية سهلة الحفظ سريعة التداول واسعة الانتشار قوية التأثير.

مع أنّ هذه الأمثال نابعة من إنسان شعبي وربما لم يجلس في مقاعد الدراسة، لكنّها تحت على قيم عالية جداً.

تميزت الأمثال الشعبية أنّها تنبع من كل طبقات الشعب فهي أقوى من القانون، كما تمثل حكمة الجماعة وذكاء الفرد.

ومنطقة الجلفة كغيرها من مناطق القطر الجزائري، مازالت تحافظ على الموروث الشعبي، خاصة الأمثال، فهو شكل أدبي له حضوره الدائم والمستمر في كل الأوقات والمناسبات، وعند مختلف الطبقات والفئات، فالأمثال الشعبية كقواعد وسلوكات تعتبر صالحة لكل زمان ومكان لتوعية الفرد وتنشئته تنشئة سليمة.



وكان للجانب الإيقاعي في الأمثال الشعبية دور كبير، بحيث عمل على تلطيف عباراتها وتحليتها، عن طريق التثغيم الوارد فيها، وإبقائها أثرا تحفظه الأذهان المتلقية ويسهل تداولها بين الأفواه المستعملة لها في المواقف الملائمة، وأضفت جمالا خاصا ورونقا بديعا على أسلوبها، وأكسبتها إيقاعا موسيقيا مميذا يخصصها عن بقية الإبداعات الشعبية القولية، فذلك الجرس الموسيقي لا يعد زينة فقط بل وسيلة لإيصال المعلومة في أحسن صورة وأبهى حلة.

إنّ اللهجة العامية لم تقف حاجزا أو عائقا أمام بلاغة وفصاحة الأمثال الشعبية بل استطاعت أن توصل المعاني إلى المتلقي في أحسن صورة، كما أنّ الأمثال الشعبية تربط الماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة، وتزيد كلام قائلها تأكيدا وفصاحة وتأثيرا. فنتمنى من كل الدارسين أن ينفضوا الغبار عن تراثهم فهو تاريخهم الذي يربطهم بالمستقبل، خاصة ما تعلق بالأدب الشعبي، فيجمعونه ويدونونه ويحللونه، لأنّه كما قيل الكتابة قيد لأنّها تحفظ ما في بطون الكتب.

5. قائمة المراجع:

- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، (بيروت: عالم الكتب، 1957) دط.
- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990)، دط.
- أحمد كامش، الأمثال العربية القديمة قيمتها ودورها في تصور الحياة العربية (الجزائر: جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2004/2003). مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي.
- الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001) ط1.
- السيوطي، في علوم القرآن، (بيروت: دار المنهل للطباعة والنشر، 1988)، ط3 ج1.
- رابح العوي، أنواع النثر الشعبي (عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار دت)، دط.
- عبد الحميد بورايو، البعد النفسي والاجتماعي في الأدب الشعبي الجزائري (عنابة: منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2008)، ط1.
- عبد القادر هني، نظرية الإبداع في التقد العربي القديم، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999)، دط.
- عبد الملك مرتاض، في الأمثال الزراعية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، دط.
- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، (مصر: دار المعارف، 1969) ط15.



- مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984)، ط1.
- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003)، دط.

6. هوامش:

- 1- عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999)، دط، ص22.
- 2- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، (بيروت: عالم الكتب، 1957)، دط، ج2 ص157.
- 3- عبد الملك مرتاض، في الأمثال الزراعية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، دط، ص162.
- 4- رايح العوي، أنواع النثر الشعبي (عناية، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، دت) دط، ص101.
- 5- السيوطي، في علوم القرآن، (بيروت: دار المنهل للطباعة والنشر، 1988)، ط3، ج1 ص87.
- 6- ابن جني، المصدر السابق، ج1، ص216.
- 7- عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص140.
- 8- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990)، دط، ص158.
- 9- عبد الحميد بورايو، البعد النفسي والاجتماعي في الأدب الشعبي الجزائري، (عناية: منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2008)، ط1، ص120.
- 10- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، (مصر: دار المعارف، 1969) ط15 ص229.
- 11- مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984)، ط1، ص63.

- 12- أحمد كامش، الأمثال العربيّة القديمة قيمتها ودورها في تصور الحياة العربيّة، (الجزائر: جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2004/2003). مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، ص232.
- 13- الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001)، ط1 ص7.
- 14- محمّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003)، دط، ص65.
- 15- محمّد أحمد القاسم، المرجع السابق، ص72.